

روح المعاني

وعليه تكون الآية دليلا لمن تتبع التوراة ونحوها وروى هذا المنع عن عائشة رضي الله تعالى عنها .

أخرج ابن عساكر عن أبي مليكة قال : أهدى عبداً بن عامر بن ركن إلى عائشة رضي الله تعالى عنها هدية فظنت أنه عبداً بن عمرو وفردتها وقالت : ينتبع الكتب وقد قال الله تعالى : أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فقليل لها : إنه عبداً بن عامر فقبلتها وجاء في عدة أخبار ما يقتضي المنع أخرج عبدالرزاق المصنف والبيهقي في شعب الإيمان عن الزهري أن حفصة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب من قصص يوسف في كتف فجعلت تقرأه عليه والنبي عليه يتلون وجهه فقال : والذي نفسي بيده لو أتاكم يوسف وأنا بينكم فأتبعتموه وتركتموني ضللتكم من النبيين وأنتم حظي من الأمم .

وأخرج عبدالرزاق والبيهقي أيضا عن أبي قلابة أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مر برجل يقرأ كتابا فأستمعه ساعة فأستحسنه فقال للرجل : أكتب لي من هذا الكتاب قال : نعم فاشتري أديما فهيأه ثم جاء به إليه فنسخ له في ظهره وبطنه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فجلس يقرأه عليه وجعل وجه رسول الله عليه يتلون ففزع رجل من الأنصار الكتاب وقال : ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ألا ترى وجه رسول الله منذ اليوم وأنت تقرأ عليه هذا الكتاب فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك : إنما بعثت فاتحا وخاتما وأعطيته جوامع الكلم وخواتمه وأختصر لي الحديث إختصارا فلا يهلكنكم المتهاوكون أي الواقعون في كل أمر بغير روية وقيل : المتحيرون إلى ذلك من الأخبار وحقق بعضهم أن المنع إنما هو عند خوف فساد في الدين وذلك مما لا شبهة فيه في صدر الإسلام وعليه تحمل الأخبار وقد تقدم الكلام في ذلك فتذكر .

قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا أي عالما بما صدر عني من التبليغ والإنذار وبما صدر عنكم من مقابلي بالتكذيب والإنكار فيجازي سبحانه كلا بما يليق به يعلم ما في السموات والأرض أي من الأمور التي من جملتها شأني وشأنكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيدا وجوز أن يكون المعنى كفى به عز وجل شاهدا بصدقي أي مصدقا لي فيما أدعيته بالمعجزات تصديق الشاهد لدعوى المدعي وجملة يعلم إما صفة شهيدا أو حال أو إستئناف لتعليل كفايته وقيل عليه : إن هذا الوجه لا يلائمه قوله تعالى : بيني وبينكم سواء تعلق بكفى أو بشهيدا ولا قوله سبحانه : يعلم ما في السموات إلخ وفيه تأمل .

وقد يؤيد ذلك بما روى أن كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا : يا محمد من يشهد بأنك رسول الله

فنزلت قل كفى الآية إلا أن في القلب من صحة هذه الرواية شيئاً لما أن السياق والسباق مع كفرة قريش فلا تغفل .

وأياً ما كان فلا منافاة بين هذه الآية وقوله تعالى : وأدعوا شهداءكم من دونكم بآياتهم على أن المعنى لا تستشهدوا بآياتهم ولا تقولوا إنهم شهداء أن ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن إقامة البينة أما لأن الشهيد هنا بمعنى العالم والكلام وعد ووعد وأما بمعنى المصدق بالمعجزات وليست الشهادة بأحد المعنيين هناك والباء في بآياتهم زائدة والأسم الجليل فاعل كفى وقال الزجاج : إن الباء دخلت لتضمن كفى معنى أكتف فالباء كما قال اللقاني معدية لا زائدة قال ابن هشام في المعنى : وهو من الحسن بمكان ويصح قولهم : أتقى الله تعالى أمراً فعل خيراً يثبت عليه أي ليتق بدليل جزم يثبت ويوجب قولهم : كفى بهند بترك التاء